والتغشية ابا الله تعالى هيئة في الاسماع والابصار تمنع تاثر ما حصل في القلب وما قال الشريف العلامة ان مج الاسماع والابصار للحق ونبوها عن الاصغاء اليه وكراهيتها الاستماع يدل على عدم نفوذه فيها لاجل هيئة حادثة فيها مانعة من النفوذ مرتبة مزوجة لما ذكرنا حصار كانها استوثق منها بالختم اي لما جعل بمعنى الكتم وجب عليه بيان مناسبة احداث الهيئة المذكورة مع الكتم الذي هو المعنى الحقيقي للختم بكون فعلا انها استوثق منها بالختم نقد مناسبة الاحداث للاستيثاق ويمكن ان يقال الختم وان كان في الاصل بمعنى الكتم لكنه استعمل بمعنى الاستيثاق المذكور واشتهر فيه فيكفي في التجوز المناسبة معه وسماه على الاستعارة اي سمى احداث الهيئة التي تمنعهم عن اكتساب الكفر المانع من التصرف فيكما ان الختم على الشيء مانع تصرف الغير فيه كذلك الهيئة المذكورة مانعة من تصرف الغير وهو الانذار الذي من شانه ان يحصل به الايمان في القلب وعلى هذا يكون حسن استعارة تبعية تصريحية او مثل حال قلوبهم قال الشريف العلامة محصول ما ذكره اي صاحب الكشاف ان تشبيه حال قلوبهم واسماعهم وابصارهم مع الهيئة الحادثة المانعة من الانتفاع بها في الاغراض الدينية التي خلقت تلك الالات لاجلها بحال اشياء المعدودة للانتفاع بها في مصالح مهمة مع المنع عن ذلك بالختم والتغطية ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به فيكون كل واحد من طرفي التشبيه مركبا من عدة امور والجامع عدم الانتفاع بما اعدله بسبب عروض مانع يمكن فيه كالمانع الاصلي وهو امر عقلي منتزع من تلك العدة فيكون تلك الاستعارة تمثيلية فان قيل اذا استعير اللفظ من حالة مركبة لاخرى مثلها وجب ان يكون ذلك اللفظ مركبا قطعا اذ لا مراد بالمعنى المركب ههنا ماله اجزاء نقول بل ما دل عليه بلفظ مركب وعلى هذا كيف يمكن حمل الاية على التمثيل وليس فيها لفظ مركب مستعار من المشبه به للمشبه بل ههنا لفظان مفردان صالحان للاستعارة فقط قلنا اذا احمل ما في الاية على الاستعارة التمثيلية كان المستعار لفظا مركبا بعضه ملفوظ وبعضه منوي في الارادة وينطلق على ملاحظة المعنى قصد الالفاظ المذكورة او مقدرة في نظم الكلام او منوية بلا ذكر ولا تقدير فيه وانما صرح بالختم وحده والغشاوة وحدها لانها الاصل في تلك الحالة والملاحظ باقي الالفاظ معنى اذ لا بد في التركيب من ملاحظات قصدية متعلقة بتلك الاجزاء ولا سبيل الى ذلك الا بتخيل الفاظ ازائها كما تقتضيه جريان العادة ومن فوائد هذه الطريقة جواز الحمل على كل واحد من الاستعارة والتمثيل فعلى الاول يكون التجوز في لفظ الختم والغشاوة وعلى الثاني لا تجوز فيهما بل في المجموع المركب منهما ومن المنوي معهما او الاستعارة التمثيلية الالفاظ الموضوعة للمشبه به وهو حال الاشياء المعدودة للانتفاع بها في مصالح مهمة مع المنع عن ذلك بالختم والتغطية اذا اريد بها اي بتلك الالفاظ المشبه اي حال القلوب على الوجه المذكور ولا يخفى ما فيه من التكلف وعدم الختم من الكلام

من الكلام ثم انه لا بد ان يكون الختم المذكور في الكلام خارجا عن الحسي اذ لا معنى للختم الحسي بالنسبة الى القلب كما افاد صاحب الكشاف في اول الكلام فكيف يصح ما قاله من انه لا تجوز في الختم على الوجه الثاني والظاهر ان المراد من القلوب اشارة الى الاستعارة بالكناية والختم والتغشية استعارة تخييلية هذا ما اختاره بعضهم في توجيه بيان الكشاف وبالاغفال اي الطف ان الاغفال جعل الشخص غافلا عن ذكر الله تعالى عن ملتفت الى جانبه وهذا غير احداث الهيئة المذكور وغير مستلزم له عقلا وان كان لازما له فتامل واعلم انه لا حاجة الى ان الاغفال بمعنى احداث الهيئة المذكور بل يمكن حمله على المعنى الحقيقي الذي جعل الشخص غافلا واضطرب المعتزلة اي قال صاحب الكشاف فان قلت لم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله تعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا قال الشريف العلامة هذا السؤال مبني على ما عليه الاعتزال اي اذا كان الختم استعارة الاحداث المذكور او تمثيلا لحالة مشتملة عليها امتنع اسناده الى الله تعالى اذ يلزم منه على التقديرين ان يكون سبحانه مانعا عن قبول الحق لختم القلوب وعالم بقبحه وغني عنه فيمتنع صدوره عنه لحكمته لا لخروجه عن قدرته بدلالة آيات سمعية نطق بها التنزيل جاء نفي الظلم عنه ليس الا لقبحه يعم القبائح كلها ومن المعلوم انه اذا لم يكن امرا بالفحشاء لم يكن فاعلا لها واما على ما عليه اهل الحق فلا قبيح بالنسبة اليه تعالى بل الافعال كلها بالقياس اليه على السواء ولا يتصور في افعاله ظلم لان الكل ملكه منه فله ان يتصرف في الاشياء كما يشاء وانما يوصف بالقبح والظلم وبطائرهما افعال العباد باعتبار كسبهم وقيامها بهم لا باعتبار ايجادها كما حقق في الكتب الكلامية اقول يمكن ايراد دليل آخر على قبح الختم على القلوب على مذهبهم وهو ان التكليف والتعذيب بالمخالفة والعصيان بعد الطبع على القلوب والختم عليها ولا شك ان الذين ختم على قلوبهم مكلفون فيلزم ان يكون الطبع والختم قبيحا فلا بد ان يؤول نسبة الختم والطبع اليه تعالى فلذا ذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق قال صاحب الكشاف واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي قال الشريف العلامة اسناد الختم الى الله تعالى كناية عن فرط تمكن هذه الهيئة اي الهيئة الحادثة المانعة وثبات رسوخها في قلوبهم وطبائعهم واسماعهم فان كونها كذلك مستلزم كونها مخلوقة لله تعالى صادرة عنه فذكر اللازم ليتصور منه الى الملزوم الذي هو المقصود فيصدق به الا تراهم يقولون فلان مجبول على كذا ولا يعنون به تحقق خلقه عليه بل ثباته وتمكنه فيه وانما لم يكن ارادة الحقيقة في اسنادهم الختم الى الله